

دور النشر العربية وميول الشباب

مقدمة :
ضرورة التوجه الى كل فئة من فئات العمر بما يناسبها من الكتب والمواد المطبوعة الاخرى :

فدور نشر الكتاب وتوزيعه هي مؤسسات ثقافية واعلامية قبل ان تكون مؤسسات تجارية ، وما يقدم لمساعدتها وتدعيمها من مال وجهد وغيرهما يجب ان يعتبر نوعا من الاستثمار في مجال التنمية البشرية وهي لتكون في المستوى المطلوب لها ولتحقق لها ((الوظيفة)) في اعمالها لا بد ان يكون عملها مرتبطا بالوظائف والاهداف التعليمية والتثقيفية والاعلامية الرسومة لها ، كما انه لا بد ان يكون عملها متمشيا مع خصائص وحاجات وميول واهتمامات مختلف فئات العمر التي تتوجه اليها بمطبوعاتها ومنشوراتها .

وبالنسبة للشق الثاني بالذات الذي يهمننا في المقام الاول من القضية السابقة والذي ينه الى ضرورة تمشي ما تنتجه دور النشر من مطبوعات مع طبيعة القراء على اختلاف اعمارهم ومستويات نضجهم ، فانه لا يفوتنا التنبيه الى حقيقة من الحقائق التي اكدتها الدراسات التربوية والنفسية والتي مفادها : انه كلما كانت مواد وموضوعات القراءة متمشية مع العمر الجسمي والعقلي للقارئ ومع خصائصه الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية ، ومع مستويات نضجه الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي ومع مستوى تحصيله العلمي والثقافي ، ومع حاجاته النفسية والاجتماعية والعقلية ومع ميوله واهتماماته ورغباته كلما زاد اقباله على القراءة ، فالشخص يجد نفسه عادة مدفوعا الى قراءة ما يظن انه يساعد على اشباع حاجاته وارضاء ميوله ورغباته وفقا لمرحلة العمر التي يمر بها ، سواء اكانت هذه المرحلة هي مرحلة المراهقة والشباب او مرحلة الرشد او مرحلة الشيخوخة . فاذا ما اخذنا مرحلة المراهقة والشباب التي تمتد في الفترة ما بين سن الثانية عشرة والخامسة والعشرين تقريبا وحاولنا ان نبحت عن الحاجات والميول العقلية البارزة فيها ، فاننا نجد ان من بينها الحاجة الى تحقيق الاستقلال العاطفي التدريجي عن الوالدين والحاجة الى تحقيق الذات وتحقيق المكانة الاجتماعية والحاجة الى تحقيق القبول لدى الجنس الاخر ، والحاجة الى التكيف مع التغيرات الجسمية والعاطفية السريعة التي يمر بها الشخص في هذه المرحلة ، والحاجة الى التقدير ، والحاجة الى النجاح ، والليل الى قراءة قصص البطولة والشجاعة ، والقصص العاطفية ، وكتب المفارمات والغازي والفتوحات وتراجم الشخصيات والابطال ، واخبار الحروب والاكتشافات العلمية ، وما يعالج المشكلات العاطفية والدينية ، والفكرية التي يحس الشباب بمثلها . (1)

ومن اول مقتضيات التسليم بهذه الحاجات والميول لدى الشباب ان تؤخذ في الاعتبار فيما يقدم اليهم من كتب ومطبوعات وفي عمليات التخطيط والتوجيه والمراقبة والتقييم لاعمال دور النشر .

ضرورة دراسة خصائص وحاجات وميول الشباب الصربي :

والتسليم بضرورة مسايرة ما تقدمه دور النشر من كتب ومطبوعات اخرى لخصائص وحاجات وميول الشباب ، يجزنا الى التسليم بضرورة اخرى ، وهي : ان تحاول هذه الدور باستمرار ان تكشف بنفسها بالطرق العلمية المقبولة او ان تتعرف على تلك الخصائص والحاجات والميول ، متعاونة مع المؤسسات التربوية

لقد اصيحت الكتب والمواد المطبوعة الاخرى في هذا العصر من اهم وسائل الاتصال الفكري ووسائل الاعلام والتثقيف العام ووسائل التعليم والتدريب والتربية المستمرة والتوعية الثقافية والاجتماعية والصحية والسياسية التي تلجأ اليها وتستخدمها وتدرك اهميتها الدول والمجتمعات الحديثة على اختلاف ثقافات ونزعاتها ومستويات نموها . واقطارنا ومجتمعاتنا العربية لا تخرج عن هذا الاجماع الانساني العام .

وفي اعتقادنا ان اهمية الكتاب والوسائل المطبوعة الاخرى تزداد في العالم يوما بعد يوم ، وذلك كلما تقدمت الشعوب ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا ، وملكت حريتها واستقلالها السياسيين ، وانتشر التعليم بين صفوف ابناءها واصبحت الكلمة المكتوبة وسيلة سائدة للاتصال الفكري فيها ، واصبح ابناءها لهم من الوعي ما يجعلهم يقدرون الثقافة والتعليم ويصفون على العلم والثقافة العامة القيمة الجديرة بها . ولم يقلل من اهمية الكتاب والمطبوعات الاخرى كوسائل للاتصال والاعلام والتثقيف العام والتوعية والتنوير والتعليم والتدريب والتربية المستمرة - ما اتت به التقنية الحديثة من وسائل مرئية ومسموعة اخرى من صور وملصقات وشرائح ملونة واشرطة واذاعة مسموعة واذاعة مرئية . فهذه الوسائل الحديثة بالرغم من انتشارها ورخص ثمنها النسبي ، وبالرغم من ان بعضها يستخدم الالوان المثيرة والصور المبهرة او يستخدم اكثر من حاسة من حواس الانسان كالازاعة المرئية التي تستخدم كلا من السمع والبصر فانها لم تستطع ان تقلل من اهمية الوسائل المكتوبة والمطبوعة فضلا عن ان تقضي عليها . فالكتب والمجلات والصحف وغيرها من الوسائل المكتوبة والمطبوعة لا تزال لها القدرة على منافسة ومزاومة وسائل الاتصال الاخرى ولا يزال لها من الخصائص والمميزات ما يزيد من هذه القدرة ويمكئنها من المحافظة على اهميتها . ومن هذه الخصائص والمميزات ، رخص ثمنها وصغر حجمها نسبيا ، وخفة وزنها ، وسهولة استعمالها ، وصلاحتها للاستعمال في كل زمان ومكان وفي جميع الظروف والازمان ، وعدم مضايقة استعمالها لغبر المستعمل لها وصلاحتها كمصدر لكثير مما يسعى القارئ للحصول عليه من معارف ومعلومات وافكار وحقائق وتجارب وخبرات في شتى ظروف الحياة .

ضرورة الاهتمام بصناعة الكتاب والمواد المكتوبة الاخرى :

واذ كان للكتاب والمواد الاخرى ما ذكرنا من اهمية في الاعلام وتثقيف وتوعية وتعليم وتدريب المواطنين القادرين على قراءة واستعمال وفهم محتويات هذه الوسائل والمواد ، فانه من الضروري الاهتمام بهذا النوع من الوسائل ، والعمل المستمر على تحسينه وتوجيهه الوجهة المرغوبة التي تزيد من فائدته وتأثيره الطيب ومن الاقبال عليه من القادرين على الانتفاع به .

ومن اهم جوانب الاهتمام بهذا النوع من الوسائل التعليمية والتثقيفية تدعيم صناعة الكتاب وحركة النشر والطباعة ، والتشجيع المادي والمعنوي لدور النشر والطباعة والتوزيع ، والتخطيط السليم لعملها ونشاطها ، والتوجيه والتقييم المستمران لهذا العمل والنشاط بما يضمن سيرها في طريق الاهداف التعليمية وحاجات وميول واهتمامات ورغبات واذواق واتجاهات وقدرات مختلف فئات العمر من القراء الذين تتجه لهم تلك الدور والمؤسسات بانتاجها المطبوع .

والاعلامية الاخرى ومع مؤسسات البحث العلمي في البلاد في الكشف او التعرف على تلك الخصائص والحاجات والميول ومستفيدة من الدراسات المناسبة التي اجريت داخل البلاد وخارجها في هذا الميدان ، وبدون الكشف او التعرف على هذه الامور بالطرق العلمية الممكنة يصبح عمل دور النشر في خدمة الشباب رجما بالغيب وغير قائم على اساس علمي .

ومما يزيد من عملية الاساس الذي تبنى عليه دور النشر تخطيطها لنشاطها في مجال الطباعة والنشر من اجل خدمة الشباب ان تكون الابحاث والدراسات التي اعتمدت على نتائجها في تخطيطها لاعمالها - قد تم اجراؤها في الوطن العربي لانها ان تم اجراؤها خارج الوطن العربي لا تكون لها قيمة تخطيطية كبيرة ، لانها تمت في مجتمعات تختلف عن المجتمع العربي في درجة تقدمها الاقتصادي والاجتماعي ، وفي خلفيتها الثقافية ، وفي خصائصها الثقافية والحضارية ، وفي احتياجاتها ومطالبها وتوقعاتها من افرادها ، وفي قيمها وعاداتها وتقاليدها التي تسمى الى تخليدها والى نقلها الى اجيالها الناشئة والقادمة .

والدراسات النفسية التربوية تؤكد لنا ان الشباب في اي مجتمع يتأثر في خصائصه وحاجاته وميوله بالبيئة التي تربي فيها وبطبيعة وثقافة وقيم المجتمع الذي عاش فيه وعلى هذا الاساس فانه لا بد من التسليم بان شبابنا العربي يختلف في خصائصه وحاجاته وميوله وقيمه عن شباب اي مجتمع غربي ، او شرقي سواء اكان امريكا ، او انجلترا او فرنسا او يابانيا او صينيا .

وتسليمتنا بهذا يقتضينا الان نقيس شبابنا العربي على نظرائه في الخارج ونفعل حقيقة اساسية وهي : انه ليس من الضروري ان يميل الشاب الى مثل ما يميل اليه الشاب الامريكي او الانجليزي ، فقد يتفان وقد يختلفان ، وربما اتفقا في بعض النواحي واختلفا في البعض الاخر ، واي تخطيط لا يراعى هذا الاختلاف يكون تحليله غير صحيح رغم مظهره المنطقي .

قلة ما يوفر من دراسات عربية حول ميول القراءة لدى الشباب :

ولكن بالرغم من تسليم علمائنا العرب بضرورة اجراء الدراسات الخاصة بخصائص وحاجات وميول القراءة لدى شبابنا العربي ، وبالرغم من شعورهم بالحاجة الماسة الى نتائج مثل هذه الدراسات في تمثل الاوساط الاجتماعية المختلفة ، وبالرغم من تجربة البحث والتخطيط العلمي السليم لرعاية وتربية وتثقيف وتوجيه ذلك الشباب وبالرغم من البساطة والسهولة النسبيين للقيام بمثل هذه الدراسات فان حظ وطننا العربي من هذه الدراسات لا يزال قليلا ، ولا يزال معظم ما نقرأه عن خصائص وحاجات وميول الشباب في الكتب العربية المتداولة بين ايدينا يعتمد اساسا على دراسات وكتب عربية ليس للعرب من فضل فيها سوى الترجمة والنقل .

ومن الدراسات العربية القليلة التي اجريست على ميول واهتمامات القراءة لدى شباب بعض اقطارنا العربية ، تلك الدراسة التي قام بها في مصر الاستاذ محمد حامد الافندي منذ اكثر من عشرين عاما عن موضوعات القراءة التي يميل اليها الطلاب في المرحلة الثانوية .

وقد اختار الاستاذ الافندي لدراسة هذه عددا من مدارس البنين والبنات الثانوية في انحاء متفرقة من مدينة القاهرة بمصر ، (١٣٣٧) الف وثلاثمائة وسبعة وثلاثين طالبا وطالبة . وقد كان عدد البنين (٦٩٧) طالبا ، اما البنات فمدهن (٦٤٠) طالبة ، وقد جاء عدد الطلبة من الفريقين موزعا على السنوات الثلاث من المرحلة الثانوية ، وكانت اعمار الطلاب تتراوح في السنة الاولى بين ١٤ و ١٧ ، وفي السنة الثانية بين ١٥ ، و ١٨ وفي السنة الثالثة بين ١٦ و ١٩ ، اما اعمار الطالبات فكانت تتراوح في السنة الاولى بين ١٤ و ١٨ وفي السنة الثانية بين ١٥ و ١٩ ، وفي السنة الثالثة بين ١٦ و ٢٠ .

ومعنى هذا ان المدى بين سن اصغر طالب وسن اكبر طالب في السنة الدراسية الواحدة هو ثلاث سنوات على حين كان هذا المدى اربع سنوات بالنسبة للطالبات ، وكانت توجد اقلية ضئيلة جدا تزيد في السن او تنقص سنة عن المدى ، سواء في البنين او البنات . وقد قدم الباحث للطلاب والطالبات الذين شملتهم عينه بحثه عددا من قطع القراءة في موضوعات مخلقة ، اخبرت بطريقة علمية معينة . وقد حلل الاجابات التي تحصل عليها من الطلبة والطالبات بطرق احصائية مختلفة ومتعددة ، توصل في نهاية تحليله الى بعض النتائج المحددة بخصوص ميول واتجاهات المراهقين والشباب نحو القراءة في مصر .

وقد اسفرت نتائج هذا البحث على ان الطلاب الذكور في السنوات الدراسية الثانوية الثلاث الاولى والثانية والثالثة ، يفضلون قصص البطولة في المرتبة الاولى ، ثم الموضوعات العاطفية فالموضوعات الاجتماعية ، ثم الموضوعات التي تتناول العلوم والمخترعات ، ثم قصص المفامرات ، فالموضوعات الفكاهية ، فالموضوعات السياسية ، ثم الموضوعات التي تبحث في الفلسفة وما وراء الطبيعة .

واما بالنسبة للبنات فان دراسة الاستاذ الافندي قد دلست نتائجها على انهن اتفنن « في الميل الى بعض الموضوعات في السنوات الدراسية الثلاث ، واختلفن في الميل الى بعضها الاخر وذلك على النحو الاتي :

السنة الاولى : فضل البنات في السنة الاولى الموضوعات العاطفية وقصص البطولة في المرتبة الاولى ثم الموضوعات الاجتماعية ، فقصاص المفامرات ، ثم الموضوعات الفكاهية ، فالموضوعات التي تتناول العلوم والمخترعات فالموضوعات السياسية ثم الموضوعات التي تبحث في الفلسفة وما وراء الطبيعة .

السنة الثانية : وفضل البنات في السنة الثانية في المرتبة الاولى : الموضوعات العاطفية ، وفي المرتبة الثانية قصص البطولة والموضوعات الاجتماعية ، وفي المرتبة الثالثة الموضوعات الفكاهية ، وفي المرتبة الرابعة موضوعات العلوم والمخترعات وقصاص المفامرات ، وفي المرتبة الخامسة الموضوعات السياسية ، واخيرا الموضوعات التي تبحث في الفلسفة وما وراء الطبيعة .

السنة الثالثة : وفضل البنات في السنة الثالثة الموضوعات الاتية بالترتيب :

الموضوعات العاطفية ، فقصاص البطولة ، فالموضوعات الاجتماعية ، فقصاص المفامرات ، فالموضوعات العلوم والمخترعات ، فالموضوعات الفكاهية ، فالموضوعات السياسية ، فالموضوعات التي تبحث في الفلسفة وما وراء الطبيعة .

وقد اجري الاستاذ محمد حامد الافندي اختبارة بطريقة اخرى توصل منه الى ان الطلاب والطالبات في المدارس الثانوية يفضلون قراءة موضوعات اخرى على النحو التالي :

الموضوعات التاريخية : يفضل قراءتها ٩١٥٪ من البنين و ٧٣٪ من البنات

الموضوعات الثقافية : يفضل قراءتها ٨٣٪ من البنين

الموضوعات الدينية : يفضل قراءتها ٨٪ من البنين و ٩٥٪ من البنات

الموضوعات البوليسية : يفضل قراءتها ٧٨٪ من البنين و ٧٦٪ من البنات

الموضوعات الادبية : يفضل قراءتها ٦٨٪ من البنين و ٧٧٪ من البنات

الموضوعات الدرامية : يفضل قراءتها ٨٧٪ من البنات

الموضوعات الخيالية : يفضل قراءتها ٨١٪ من البنات

موضوعات علم النفس : يفضل قراءتها ٨١٪ من البنات (٤)

الملاحظة التي قد تؤخذ على هذه الدراسة :

والملاحظة التي قد تؤخذ على الدراسة السابقة هو قدمها حيث مضى على اجرائها ما يزيد على عشرين سنة ، فقد تطورت مصر نفسها في هذه الفترة تطورا كبيرا وتغيرت الحياة فيها وتغيرت معها بكل تأكيد كثير من ميول الشباب المصري واهتماماته القرائية ولا يستطيع احد ان يدعي ان شباب اليوم يحملون نفس الميول القرائية التي كان يحملها امثالهم من الشباب ، حتى في مدينة القاهرة نفسها التي تمت فيها الدراسة السابقة ، يضاف الى هذا ان الدراسة السابقة لم يجز مثلها في اقطارنا ومجتمعنا العربية المختلفة التي كانت منذ ذلك الوقت مختلفة في درجة نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، وفي عاداتها وتقاليدها وفي مطالبها وتوقعاتها من افرادها وفي كثير من قيم حياتها . ومن غير شك ان هذين العيين في الدراسة السابقة يقللان من قيمة نتائجها بكل تأكيد كركيزة من ركائز التخطيط لتكوين محتويات المكتبات المدرسية والمكتبات العامة ، ولوضع مناهج القراءة والمطالعة والثقافة العامة في المدارس الثانوية ولتحديد الموضوعات الثقافية المفضلة لدى الشباب في الصحافة ، ولتوجيه نشاط دور ومؤسسات الطباعة والنشر في وطننا العربي ككل . ولا اعتقد ان لها قيمة تخطيطية كبيرة في هذه المجالات حتى في مصر نفسها لقدمها اولا ولضيق المحيط الذي غطته من القطر المصري حتى في ذلك الوقت الذي اجريت فيه . فقد علمنا ان الدراسة السابقة لم تشمل الا مدينة القاهرة من مصر ، ولعلها لو اجريت على المدن المصرية الاخرى وعلى المناطق الداخلية والريفية في مصر خاصة في الصعيد لكانت نتائجها مختلفة كلياً وجزئياً عما جاءت عليه في القاهرة ، لاختلاف المدن والمناطق المصرية المختلفة في كثير من مظاهر حياتها وفي كثير من عاداتها وتقاليدها ولانعكاس هذا كله على ميول واهتمامات واتجاهات الشباب المصري في تلك المدن والمناطق .

والذي تريد ان نخلص اليه من كل هذا هو : ان ميول القراءة لدى الشباب تتأثر بكل تأكيد بعامل الزمان والمكان . فقراءة ابناء المدن تختلف عن قراءة ابناء الريف ، وما يميل الى قراءته ابناء ذوي المهن الرفيعة يختلف بالضرورة عما يميل الى قراءته ابناء العمال وما يميل الى قراءته الطالب في المدرسة الثانوية يختلف عما يميل الى قراءته العامل المراهق وهكذا .

وقد اكد هذه الحقيقة نتائج كثير من الدراسات العلمية التي اجريت لقياس تأثير المحيط على ميول الشباب واتجاهاتهم ومن هذه الدراسات : الدراسة التي قام بها « جوردان »

والدراسة التي قام بها « تيرمان » و « ليما » وفي نظرة مقارنة الى نتائج هاتين الدراستين الغربيتين يلاحظ الشخص انه في حين تدل نتائج دراسة « جوردان » على ان ٢٥٪ من البنات اللواتسي تتراوح اعمارهن بين « ١٤ - ١٦ » سنة يملن الى قراءة قصص المغامرات ، فان دراسة « تيرمان » و « ليما » تدل على ان بنات الرابع عشرة لا يقرآن قصص المغامرات الا لماما . والسبب في الاختلاف بين النتائج التي حصل عليها الفريقان ، هو انهما اجرا دراستهما في محيطين مختلفين « (٥) »

من نتائج بعض الدراسات الغربية حول ميول القراءة لدى الشباب :

ونظرا لقللة الدراسات العربية التي اجريت حول ميول القراءة لدى الشباب ، فانه لا مناص من الاطلاع على الدراسات الكثيرة التي اجريت في هذا المجال في غير الوطن العربي ، فهي لا تخلو من الفائدة للمخطط العربي في مجالات التربية والتوجيه والاعلام والنشر وتكوين المكتبات على اختلاف انواعها ومستوياتها ، خاصة اذا كان هذا المخطط واعيا بالفروق الثقافية والحضارية بين الشعوب ، ملما بواقع مجتمعه العربي ، وقادرا على التمييز بين ما ينتمى مع وطنه العربي وما لا ينتمى .

ومن هذا المنطلق تكمن الاشارة المحدودة الى نتائج بعض هذه الدراسات فيما يلي : فقد دلت نتائج بعض الدراسات التي اجريت في انجلترا مثلا (على ان المراهقين اميل الى قراءة الجرائد والمجلات المصورة منها الى قراءة المجلات والجرائد الادبية او الجدية ، واثبتت هذه الدراسات ان معظم المراهقين لا يقرآن المقال الافتتاحي او المقالات السياسية او المقالات الهامة ، وانما يقرآون (في حالة الفتيان) : اخبار الحروب والكاركتاتور ، والقصص المصورة ، واخبار الرياضة والسينما والنكات . اما البنات فيقرآن القصص المصورة ، واخبار السينما ، والكاركتاتور والاعلانات واخبار الحروب ورسائل القراء ، كما دلت الدراسات على ان اخبار ... المغامرات والفضايا جذابة بالنسبة للمراهقين من الجنسين) (٦)

وفي امريكا صدر العديد من الدراسات في هذا المجال ، وقد حاول كثير من كتاب الغرب والشرق ان يلخصوا نتائج كثير من هذه الدراسات ومن ابرز هؤلاء الكتاب عالمة المكتبات الامريكية « لوسيل فارجو » في كتابها القيم (المكتبة في المدرسة او المكتبة المدرسية) ومن النتائج الاحكام التي توصلت اليها السيدة (فارجو) بخصوص ميول القراءة لدى المراهقين والشباب استنادا على تلك الدراسات ما عبرت عنه بقولها :

(ويصل الاهتمام بالقراءة في سن الثانية عشرة الى القمة ويتسع مجال القراءة لدى البنين والبنات بمتعة كبيرة ، لان هذه السن هي سن تقديس الإبطل ولكن يتحقق الميل الكامل الى السير والتراجع فانها يجب ان تكون لاناس عمليين . . .)

وقد يتجه الفتى ذو الميل الادبي الى قصص (ديكتز) و (دوماس) و (هيجو) دون التخلي عن الاساطير وقصص البطولة . وتميل الفتيات الى القصص عن الحياة العائلية . . . ، وكذلك قصص المهن وقصص الحياة المدرسية ، مع الاحتفاظ بميل واضح نحو قصص المغامرات وميل الفتيات الى القصص الدينية اكثر من ميل الفتيان اليها ومن الواجب ان يكون للعلوم والمخترعات جانب شخصي حتى تستطيع السيطرة على اهتمام الفتيات ، بمعنى انها يجب ان ترتبط بالسير الذاتية او بالحياة العائلية . اما البنون فيستدرجون على منحى القراءة في كل موضوع فيه . اما الخطوة الكبرى بالنسبة للفتاة في هذه السن فانها تتمثل في دخولها في ادب الكبار ، وكلما كان عاطفيا كان افضل بالنسبة لها . . .)

وتكون في سن الثالثة عشرة اهتمامات قليلة جديدة . وفضلا عن هذا تزداد الاهتمامات القديمة عمقا ويبحث البنون عادة في هذه السن عن كتب تؤكد (اللياقة البدنية والتغلب على العاهات البدنية واكتساب المهارات العنيفة) . . كما انهم يجدون متعة في العلوم الاكثر تعقيدا وفي هوايات الركوب ، ولذلك يتذوقون متعة الاختراع - فعلا وتخيلا - من خلال مخترعات العلماء ، في حين ان الفتيات يواصلن اكتشافهن لعالم الكبار الخاص بالعاطفة والانفعال ، اما كون هذا الاستكشاف مفيدا او ضارا فان ذلك يتوقف اساسا على التوجيه الذي تتلقاه الفتاة وقد تستحوذ على اهتمام فتاة في هذه السن روائع الادب العالمي ، وكذلك الشعر والدراما وفي سن الرابعة عشرة تبلغ المراهقة اوسع مداها ، وتصبح الميول اكثر تخصصا ، وتجلب الروايات متعة غير متوقعة ويتميز اهتمام الفتى بالميكانيكا ، بالنزعة العلمية والتجريب متضمنا استخدام المراجع المعينة كما يستغرق بتلقائية في قراءة الكتب غير الخيالية ، وبخاصة العلوم والسير الذاتية والتاريخ والحلات ، يأخذ دوره ايضا في الاستغراق في الروايات . . .)

بعد سن السادسة عشر تصبح اهتمامات القراءة اكثر تميزا وتخصصا ، ولذلك لا تعود الاحكام العامة تنطبق ، شأنهم في ذلك شأن الكبار ويتفق هذا - في صلبه - مع رأي امراء المكتبات المتفرسين . (٧) ولهذا النضج النسبي الذي حققته طلبة وطالبات المرحلة الثانوية الذي تكاد تنصدم بمقتضاه الفروق بين قراءاتهم وقراءات الكبار ، فانه من واجب المكتبات العامة والمكتبات التجارية ، ودور النشر التي تغذيها ان تنوع ما تقدم من كتب ومطبوعات الى الشباب في هذه المرحلة .

« ومن أنواع الكتب التي يجب ان يفسح لها مكان في هذه المرحلة : سير العظماء » تاريخ حياة المصلحين الاجتماعيين وأنشائين ورجال الدولة والدعاة الدينيين والأخلاقين « لان هؤلاء الناشئين لسن يلشوا ان يخرجوا بدورهم الى الحياة العملية في خدمة الدولة والفن والانسانية فمثلا الكتب التي تعالج مثل هذه الموضوعات « كينسب تكسب صداقة الناس وكيف تصلح شخصيتك » لها مكانها البارز هنا وكذلك كتب علم النفس ذات الصلة المباشرة بالحياة اليومية وكتب التوجيه المهني والمؤلفات التي تصدر عن دعوة اخلاقية او دينية ، وكذلك الشعر والادب المسرحي وكتب علم الحياة وعلم الوراثة .

اما في محيط الفتيات فنظرا لاتجاه ميولهن اتجاها منزليا فانهن يقرآن فنون الزخرفة والتأثيث وكتب النقد الادبي والمقالات عن الصداقة . اما الكتب عن المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فيقرأها الجنسان اذا كان تناولها لموضوعاتها تناولا عمليا غير مهمل .

وبالاختصار قل ان يوجد موضوع يقبل عليه الناضجون من الناس بصفة عامة ولا يقبل عليه الطلبة الكبار في المدارس الثانوية ، الا اذا كانت كتبنا تتعمق في تخصصها الى حد تستعصي فيه على القارئ غير المتخصص او اذا كانت كتب بحث فلسفي بحيث تخرج عن نطاق واقعية الغالبية العظمى من الشباب .

واذا كان المقام لا يتسع للاستمرار في عرض الدراسات والكتابات التي حاولت ان تحدد لنا اليادين والموضوعات الفكرية التي تتركز حولها اهتمامات وميول القراءة لدى المراهقين والشباب واذا كان كثير من الدراسات التي اشرفنا عليها والتي لم نشر قد اجريت خارج الوطن العربي وان اجراءها قد تم منذ مدة طويلة ، فانه لا اقل من ان نستخلص مما اشرفنا اليه منها ومما لم نستطع الاشارة اليه ومن نتائج خبراتنا واحتكاكاتنا بالشباب في مجالات التدريس والتوجيه ورعاية الشباب ان شبابنا العربي اذا وجد التوجيه المناسب وتوفرت له الكتب المتنوعة الصالحة فانه يميل الى قراءة الكتب والموضوعات التالية .

١ - الكتب الدينية البسطة والصغيرة في حجمها التي تعالج مبادئ العقيدة والقضايا الدينية وتحاول توضيح هذه المبادئ والتعاليم والقضايا والبرهنة عليها على اساس من الفهم السليم لروح العقيدة والدين والنطق السليم ، كذلك الكتب التي ترد على الشبهات التي تثار حول الدين تساعد الشباب على التغلب على ما يختلج في نفسه من شكوك دينية وتأخذ بيده الى شاطئ اليقين .

٢ - كتب الرحلات المثيرة ، وكتب التاريخ والسير الذاتية ، والكتب التي تصور حياة وثقافة الشعوب الاخرى .

٣ - تراجم الابطال والقادة والدعاة والمصلحين وكبار العلماء والاطباء والمخترعين والفنانين

٤ - الروايات التاريخية ، وقصص البطولة والفروسية ، وقصص المغامرات والاكتشافات والاختراعات العلمية والجغرافية .

٥ - القصص العاطفية ، والشعر العاطفي العبر والقصص الطويلة (الروايات) وخاصة ما كان منها مليئا بالحركة والمغامرة والفنية بحوارها وتحليلاتها النفسية العميقة .

٦ - الكتب النفسية البسطة التي تصور نفسية الشاب وما يمر به من تغيرات فيسيولوجية وعاطفية والتي تساعد على تفهم ما يمر به من مشكلات شخصية واجتماعية مع نفسه ومع غيره ، وعلى مواجهة هذه المشكلات والتغلب عليها ، والتي تؤكد له ان ما يمر به من تغيرات هو امر عادي يمر به كل مراهق ، والتي تبث فيه الثقة بنفسه وتأخذ بيده نحو الاستقرار والهدوء النفسيين والتسيب تشبع فضوله عن مشكلات المراهقة ومشكلات الشخصية ، وانتهي تفسر له كثيرا من التصرفات الشاذة التي يلاحظها في محيطه وتفسر له انماط السلوك الغريبة في المجتمع الذي يعيش فيه ، والتي تربط له بطريقة مبسطة واضحة حقائق علم النفس بمشكلات ومناقشات الحياة اليومية .

٧ - الكتب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي تعالج بتبسط وعمق وموضوعية المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية التي يمر بها مجتمعه وامته والانسانية بصورة عامة والتي تصور الاعمال الاجتماعية والانسانية الخيرية .

٨ - الكتب العلمية التي تعالج موضوعات علمية بطريقة مبسطة وتربط العلم بالحياة وتوضح اهمية مختلف فروعها في خدمة المجتمع والانسانية ، وتعرف بما تم من اكتشافات علمية وتوضح قيمتها العلمية والاجتماعية وتطبيقاتها في شؤون الحياة .

العامة وكتب علم الحياة وعلم الوراثة وعلوم الطيران والفضاء .

٩ - الكتب المتعلقة بالشؤون العائلية والتدبير المنزلي والفنون الجميلة والاشغال اليدوية والهوايات المختلفة .

١٠ - الكتب التي تتصل بالموضوعات التي يدرسها في مدرسته او جامعتها وتدعم الكتب المدرسية والجامعية والرئيسية وتساعد على ما يطلب منه من مقالات وابحاث ومشروعات . هذه في نظرنا اهم الموضوعات والكتب التي يميل اليها شبابنا العربي بصورة عامة اذا ما توفرت لهم وتيسر لهم امر الحصول والاطلاع عليها واذا ما وجدوا من يوجههم اليها ويعرفهم بها ، مع التسليم بان هناك فروقا فردية واسعة بين المراهقين والشباب العرب في اهتماماتهم وميولهم القرائية وذلك بحكم اختلاف جنسهم ، واختلاف اعمارهم واختلاف مستويات تعليمهم وتحصيلهم المعرفي وثقافتهم العامة ، واختلاف مستوى اسرهم الاجتماعي والاقتصادي والثقافي واختلاف البيئات التي تربوا فيها والمجتمعات التي نشأوا فيها من حيث مستواها الاقتصادي والثقافي وقيمها وتوقعاتها من افرادها ودرجة رقابتها عليهم .

وكان من الممكن ان يكون لما ذكرناه واستخلصناه من نتائج قيمة اكبر في توجيه القائمين على انشاء المكتبات المدرسية والمكتبات العامة والمكتبات التجارية والقائمين على تنمية وتدعيم هذه المكتبات جميعا باستمرار وفي توجيه دور النشر في الوطن العربي ، لو ان ما ذكرناه واستخلصناه قد تم التوصل اليه عن طريق دراسة او دراسات علمية حديثة وواسعة وشاملة في وطننا العربي لعدم توفر مثل هذه الدراسات في الوطن العربي ، فيما نعلم ، فانه لا مفر من الاستفادة مما استخلصناه ويستخلصه غيرنا من نتائج وتعميمات بناء على تجارب شخصية ودراسات محدودة داخل وخارج الوطن العربي في التخطيط لمكتباتنا ودور نشرنا العربية وفي توجيه عملها بما يجعلها اكثر تمشيا مع حاجات وميول الشباب .

المبادئ التي ينبغي ان تقوم عليها سياسة النشر في وطننا العربي :

ومما ابيحت لنا الاطلاع عليه من دراسات وكتابات تتعلق بنمو المراهقين والشباب وخصائص نموهم وحاجاتهم واتجاهاتهم وميولهم بصورة عامة وميولهم القرائية بصورة خاصة ، ومن ملاحظاتنا وخبرتنا الشخصية في عملنا مع الشباب وما سبق لنا ذكره في الفقرات السابقة من هذه الورقة نستطيع ان نستخلص مجموعة من المبادئ العامة التي ينبغي - في نظرنا على الاقل - ان تكون من المرتكزات الاساسية التي تقوم عليها سياسة النشر في وطننا العربي . وهذه المبادئ هي كما يلي :

١ - ينبغي التأكيد على ان دور النشر ، حتى الاهلي منها والذي يخضع منها للقطاع الخاص هي مؤسسات تربوية وثقافية واعلامية في المقام الاول ، وان رسالتها الاولى هي مد الجماهير بالفداء الفكري والروحي الذي لا يقل في قيمته عن الفداء الجسمي ونشر الوية المعرفة النافعة والفكر الصحيح والدوق السليم والادب المنزوم والثقافة العربية والاسلامية الاصيلية والفكر الانساني العالمي التزيه السندي لا يهدم عقيدة صحيحة ولا قيمة اصيلة من قيمنا ، اما هدف الكسب المادي فانه ينبغي ان يكون هدفا ثانويا غير مقصود في المقام الاول بحيث لا يضحي في سبيله بالغايات التربوية والتثقيفية ولا بالقيم الروحية.

٢ - تتبقي النظرة ايضا الى العمل الذي تقوم به دور نشرنا العربية على انه عمل هادف يحتاج الى التخطيط السليم والتقييم المستمر في ضوء الاهداف المرسومة له .

٣ - ان مواد وموضوعات القراءة ينبغي ان تكون مساعدة للشباب على اشباع حاجاتهم النفسية ليزيد اقبالهم عليها وعلى ارضاء ميولهم واهتماماتهم الثقافية ، وعلى ملء الفراغ النفسي الذي يحس به بعضهم ، وعلى توسيع معارفهم وثقافتهم ومداركهم وخيالهم باستمرار ، وعلى فهم المشكلات التي يحسون بها وعلى مواجهة هذه المشكلات وعلى حلها ان امكن .

فالشباب يقرأون عادة ليشبعوا حاجاتهم المختلفة وليرضوا ميولهم واهتماماتهم القرائية وليوسعوا ثقافتهم ومداركهم وليشغلوا اوقات فراغهم بأمور نافعة وليفهموا جذور المشكلات التي يحسون بها ويصلوا الى الحل المقبول لها .

٤ - نظرا لان الشباب يشق الحرية ويحس بعمق حاجته اليها ويميل الى كل ما يساعده على الفهم الصحيح للحرية والى ما يحقق له حريته ونظرا لان اقبال الشباب لن يكون تاما على الكتب والمواد المطبوعة الاخرى الا اذا تم اختيارها بحرية وتمت كتابتها في جو من الحرية وبواسطة اشخاص يتمتعون بكامل حريتهم الشخصية والعلمية ، ونظرا لان الحرية هي الدافعة والمسيرة للحقيقة والمساعدة على ابرازها واعلى الخلق والابداع ، فانه لا غنى عن توفير الحرية العلمية المسئولة للكتاب والقارئ على السواء .

٥ - نظرا لان الشباب يخلطون في انماط شخصياتهم وامزجتهم وفي درجات ذكائهم ودرجات نضجهم العقلي والانفعالي والاجتماعي وفي حاجاتهم وميولهم واهتماماتهم وهواياتهم فانه من واجب دور النشر والمكتبات المدرسية والمكتبات العامة ان تقدم الى هؤلاء الشباب ما يتماشى مع فروقهم الفردية وما يناسب ميولهم المختلفة ، فتقدم الى اصحاب الميول الخلوية الكتب والقصص المتصلة بعمل الرحلات وتنظيم المسكرات ودراسة الغايات ، وتقدم الى اصحاب الميول الادبية الكتب والقصص الادبية ودواوين الشعر الجيد ، وتقدم الى اصحاب الميول الميكانيكية الكتب المتصلة بالادوات كاصلاح السيارات وهكذا .

٦ - نظرا لان عادة القراءة والميول القرائية ليست امرا فطريا يرثه الانسان بيولوجيا وانما هي امر مكتسب يكسبه الانسان عن طريق التربية والخبرة والممارسة العملية المستمرة للقراءة في الاوساط المختلفة التي يتفاعل معها في مختلف اطوار حياته من بيت ومدرسة ومكتبة عامة وعن طريق التوجيه التربوي السليم الذي يقدم له في مختلف الاوساط التربوية وعن طريق اساليب التدريس ونظم الامتحانات التي تتبع منه اثناء فترة دراسته ، فانه من الضروري ان يتوفر للطفل والشباب كل الفرص الممكنة للخبرة القرائية المناسبة وان يتوفر لهما الكتاب الجيد والموضوعات الصالحة للقراءة وان يتوفر لهما التوجيه الصالح الفعال من القائمين على تربيتهم من ابناء ومدرسين وموجهين وامناء مكتبات وغيرهم لقراءة الاعمال الادبية والفكرية النافعة ولتابعة الاخبار المفيدة ولإشباع فضولهم من المشكلات الشخصية والاجتماعية والانسانية التي تهتمهم ، اذ بدون هذا التوجيه فان المراهق مثلا يقرأ اكثر ما يقرأ للحصول على الانارة .

٧ - ان بناء الاتجاه الإيجابي نحو القراءة وبناء عادة القراءة والمهارات الضرورية لها امران لا يمكن ان يتحمل مسؤولية بناءهما الاشارة اليهم في المبدأ السابق وجميع مؤسسات واجهزة التربية وتمارس التأثير عليه ، بل يجب ان يساهم في تحمل هذه المسؤولية كل من له صلة بتربية وتعليم وتوجيه الشباب من الذين سبقت الاشارة اليهم في المبدأ السابق وجميع مؤسسات واجهزة التربية والتعليم والاعلام والنشر . فبناء ذلك الاتجاه وهذه العادة والمهارات يجب ان تكون هدفا اساسيا من اهداف التربية المنزلية والتربية

المدرسية والحركة المكتبية وحركة الطابعة والنشر واجهزة الصحافة والاذاعة بنوعها ، اذ بدون مساهمة وتعاون هذه الجهات جميعا لن يتحقق الهدف المذكور بالصورة المرغوبة .

٨ - ان مهمة المؤسسات التربوية والثقافية والاعلامية لا تقف عند حد اكتشاف وتنمية ميول واهتمامات القراءة لدى الشباب ، بل ان عملها يستمر حتى بعد ذلك لتنفيذ هذه الميول والاهتمامات وتعهدا بالرعاية والتوجيه المستمرين وحمايتها من الانحراف نحو القصص الخيالية والعاطفية المنحرفة ، ولانارة ميول واهتمامات جديدة وجعلها في حركة مستمرة ، وذلك عن طريق التعليم والتدريب والتوجيه والتشجيع على القراءة والنحيم لاهتماماتها وتوفير الحوافز التي تدفع الى القراءة ، وعن طريق تنظيم المسابقات الثقافية التي تدفع الى الاطلاع وعقد الندوات والمناقشات الهادفة الى التعريف بما يصدر من كتب جديدة ، وعن طريق نشر المراجعات لما يصدر من كتب جديدة ونشر الاعلانات ومقالات النقد الموضوعي عنها الى غير ذلك . من وسائل تسمية وتوجيه وتجديد ميول القراءة ووسائل التشجيع على القراءة والتعريف بما يصدر من كتب جديدة جيدة .

٩ - ان الكتاب لئال قبول الشاب ورضاه وافاله عليه وليستطيع منافسة ومزاحمة الوسائل التعليمية والتثقيفية والاعلامية الاخرى كالاذاعة المسموعة والاذاعة المرئية واشرطة الخيالة وغيرها فانه ينبغي ان يكون جيدا في موضوعه وشكله ينبغي ان يكون جيسدا في محتواه وفي عرض وتنظيم وتحليل افكاره وفي لغته واسلوبه وشكله الخارجي وفي نوعية ورقه كما ينبغي ان يكون مناسبا في حجمه ، حيث ان حجم الكتاب من الامور التي ينبغي ان تثار العناية ، وخاصة بالنسبة للقارئ غير التجاوب او عديم الخبرة - فالكتاب الصغير الحجم عادة يلقى اقبالا اكبر مما يلقاه المجلد الضخم الثقيل .

عمر التومي الشيباني

طرابلس - ج ١٠٤٠

المراجع العربية للمقال

- (٢-١) مدحت كاظم ، المكتبة المدرسية ص ٤٦-٤٧ و ٦٢-٦٩ .
- (٣) محمد حامد الانندي ، موضوعات القراءة التي يميل اليها الطلاب في المرحلة الثانوية بحث اجري على عينة من طلبة وطالبات المدارس الثانوية بمدينة القاهرة بمصر لنيل شهادة الماجستير في التربية في يونيو ١٩٥٥ م .
- (٤) كما لخصها د. مصطفى فهمي ، سيكولوجية الطفولة والمراهقة - الطبعة الثانية - القاهرة : مكتبة مصر : ١٩٦٦ ص ٢٢٤-٢٣٦ .
- (٥-٦) كما لخصها د. فاخر عاقل ، اعرف نفسك - الطبعة الثانية - ، بيروت دار العلم للملايين ، ص ٢٩١-٢٩٢ . سنة ١٩٦٨ م .
- (٧) لوسيل ف فارجو ، المكتبة المدرسية ، ترجمة : د. السيد محمد العزاوي ، القاهرة : دار المعرفة ص ٧٠-٧٣ .
- (٨) مدحت كاظم ، المكتبة المدرسية ، ص ٤٢-٤٦ .
- (٩) مراجع اخرى :
- (أ) د. محمود ابراهيم - المطالعة وكيف ننفذ منها - مجلة رسالة المعلم السنة الثانية عمر العدد الثالث ، يناير و فبراير ١٩٦٩ ، ص ٢٣-٢٨ .
- (ب) محمود الاخرس - الطلاب ومكتباتهم الخاصة - مجلة رسالة المعلم ، السنة ١٢ العدد ٤ ، مارس وابريل ١٩٦٩ م ص ٣٦٢٣ .